﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩﴾

[النمل: 69]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعدَ التّمادي في العِناد والتّكذيب، جاء الإرشادُ متضمِّنًا معنى التّهديد والوعيد

لَمّا لَمْ يَبْقَ بَعْدَ هَذا الَّذي أقامَهُ تعالى مِن دَلائِلِ القُدْرَةِ عَلى كُلِّ شَيْءٍ عُمومًا، وعَلى البَعْثِ خُصوصًا، مَقالٌ يَرُدُّ عَنِ الغَيِّ إلّا التَّهْديدُ بِالنَّكالِ، وكانَ كَلامُهم هَذا موجِبًا لِلنَّبيِّ ﷺ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يَعْلَمُهُ إلّا اللّه تَعالى، قالَ سُبْحانَهُ مُلَقِّنًا لَهُ، ومُرْشِدًا لَهم في صورَةِ التَّهْديدِ: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أيْ: أيُّها المُعانِدونَ أوِ العُمْيُ الجاهِلونَ. ولَمّا كانَ المُرادُ الاسْتِرْشادَ لِلِاعْتِقادِ، والرُّجوعَ عَنِ الغَيِّ والعِنادِ، لِكَوْنِ السِّياقِ لَهُ، لا مُجَرَّدُ التَّهْديدِ - أمرهم بالسّير للتّذكير بالعذاب الذي نزل بإخوانهم، وقريبٍ منهم، آثارِ عادٍ وثمودَ وأصحابِ الأيْكَة، وقومِ لوطٍ، وغيرِهم مِنَ المُجرمين المُكذّبين المُعانِدين[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سِيرُواْ﴾: (سير) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُضيٍّ وجَرَيانٍ، يُقالُ: سارَ يَسيرُ سَيْرًا، وذَلِكَ يَكونُ لَيْلًا ونَهارًا. والسّيرَةُ: الطَّريقَةُ في الشَّيْءِ والسُّنَّةُ؛ لِأَنَّها تَسيرُ وتَجْري. والسَّيْرُ: الجِلْدُ، مَعْروفٌ، وهوَ مِنْ هَذا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِامْتِدادِهِ[2]. وأمّا قوله: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فقد قيل: حَثٌّ على السّياحة في الأرض بالجِسْم، وقيل: حَثٌّ على إجالة الفِكْر، ومراعاةِ أحواله[3].

2) ﴿فَٱنظُرُواْ﴾: (نظر) أَصْلٌ صَحيحٌ يَرْجِعُ فُروعُهُ إلَى مَعْنًى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 207، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5479.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سير).
(3) الرّاغب، المفردات: (سار).

واحدٍ، وهوَ تَأَمُّلُ الشَّيْءِ ومُعايَنَتُهُ، ثُمَّ يُسْتَعارُ ويُتَّسَعُ فيهِ. فَيُقالُ: نَظَرْتُ إلَى الشَّيْءِ أَنْظُرُ إلَيْهِ، إذا عايَنْتَهُ[1]. والنَّظَرُ: تَقْليبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدراكِ الشّيءِ ورؤيَتِهِ، وقد يُرادُ به التَّأَمُّلُ والفَحْصُ، وقد يُراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْصِ، وهو الرَّوِيَّةُ[2]. وقولُه تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [يونس: 101] أي: تَأَمَّلوا. واستعمالُ النَّظَرِ في البَصَرِ أكثرُ عند العامَّةِ، وفي البصيرةِ أكثرُ عند الخاصَّةِ. والمراد بالنّظر هاهنا التّأمّل والتّفكّر والتّدبّر[3].

3) ﴿عَٰقِبَةُ﴾: (عقب) أَصْلانِ صَحيحانِ؛ أَحَدُهُما يَدُلُّ عَلَى تَأْخيرِ شَيْءٍ وإتْيانِهِ بَعْدَ غَيْرِهِ. وكُلُّ شَيْءٍ يَعْقُبُ شَيْئًا فَهوَ عَقيبُهُ، بِمَنْزِلَةِ اللَّيْلِ والنَّهارِ إذا مَضَى أَحَدُهُما عَقَبَ الآخَرِ[4]. والعَقِبُ: مُؤَخَّر الرِّجل، وقيل: عَقْبٌ، وجمعُه: أعقاب، واستعير العَقِبُ للولد ووَلدِ الوَلد، وجاء في عَقِبِه: إذا بقيت منه بقيّة، ورجع على عَقِبِه: إذا انثنى راجعًا. والعُقْبُ والعُقْبَى يختصّان بالثّواب، نحو: ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف: 44]، والعاقِبةُ إطلاقُها يَختصّ بالثّواب نحو: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: 83]، وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة نحو: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾ [الرّوم: 10]. والعُقوبَةُ والمعاقبة والعِقاب يختصّ بالعذاب، قال: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: 14][5].

4) ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: (جرم) أَصْلٌ واحِدٌ يَرْجِعُ إلَيْهِ الفُروعُ. فالجِرْمُ: القَطْعُ. ويُقالُ لِصَرّامِ النَّخْلِ: الجَرّام. وجَرَمْتُ صوفَ الشّاةِ وأَخَذْتُهُ، والجُرْمُ والجَريمَةُ: الذَّنْبُ؛ لِأَنَّهُ كَسْبٌ، والكَسْبُ اقْتِطاعٌ. ولا جَرَمَ: مِنْ قَوْلِهِمْ جَرَمْتُ، أَيْ: كَسَبْتُ، والجارِمُ: الكاسِبُ. وأَجْرَمَ: صار ذا جِرْم، واستُعير ذلك لكلّ اكتسابٍ مكروه، ولا يكاد يقال في عامّة كلامهم للكيّس المَحْمود. والمُراد بالمُجرمين: القاطِعونَ لِما أَمَرَ اللّه بِهِ أَنْ يوصَلَ مِنَ الصّلاة، والزَّكاة، لِتَكْذيبِهِمُ الرُّسُلَ الَّذينَ هُمُ الهُداةُ إلى ما لا تَسْتَقِلُّ بِهِ العُقولُ، فَكَذَّبوا بِالآخِرَةِ الَّتي يُنْتِجُ التَّصْديقُ بِها كُلَّ هُدًى، ويورِثُ التَّكْذيبُ بِها كُلَّ عَمًى[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نظر).
(2) الرّاغب، المفردات: (نظر).
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (نظر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عقب).
(5) الرّاغب، المفردات: (عقب).
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 207.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الدّعوةُ إلى مشاهَدةِ مصائرِ المُجرمين حَثٌّ على الاعتبار بجزائِهم المُهين

يَلْفِت القرآنُ أنظارَ هؤلاء الكفّار المُعانِدين إلى مصارع المُكذّبين مِن قبلهم، ويأمر النّبيَّ ﷺ أن يُحَذِّرَهم من سوء مصير هذا الإنكار والاستهزاء، أي: قل - أيّها الرَّسولُ الكريم - لهؤلاء الجاحدين: سيروا في الأرض لِتَروا بأعينكم مصارعَ المُكذّبين بما جاءهم بهِ الرّسلُ من قبْلِكم، ولِتَعتبروا بما أصابهم بسبب إجرامهم، وإنكارِهم للبَعْث والحساب يومَ القيامة. فالآيةُ الكريمةُ توجِّهُهُم إلى ما من شأنه أن يفتحَ مغاليقَ قلوبِهم المُتحَجِّرة، وأن يزيلَ عن نفوسهم قَسْوَتَها وعِنادَها[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### تلوينُ الخطابِ في صَدر الآية:

في العُدول عنِ الخبر إلى الإنشاء إثارةٌ لذِهن المُتلقّي كي ينتبهَ لحال المُكذّبين

عَدَلتِ الآيةُ الكريمة عن خطاب المشركين في قضية إنكار البعث، إلى الأمر بالسّير في جَنباتِ الأرض التماسًا لمصائر السّابقين؛ للاتّعاظ بما حلّ بهم، كما عدلَ النّظمُ القرآنيّ عنِ الأسلوب الخَبريّ في إخبار الكفّار عن إنكارهم للبعث، إلى الأسلوبِ الإنشائيّ الآمِر بالسّير في ربوع الأرض، وفي ذلك لفتٌ للانتباه، وإثارةٌ للأذهان.

### سِرُّ فصلِ الآية عمّا قبلها:

الأمرُ بالسّير إرشادٌ للاعتبار بمصائر السّابقين

فَصَلَ النّظمُ الكريم فِعْلَ ﴿قُلْ﴾ عن سابقه؛ لشبه كمالِ الانقطاع، فقد أُمِرَ الرَّسولُ ﷺ بِأَنْ يَقولَ لَهم هَذِهِ الكَلِمَةَ، للمَوْعِظَة بِحالِ المُكَذِّبينَ؛ لِأَنَّ إنْكارَهُمُ البَعْثَ تَكْذيبٌ لِلرَّسولِ وإجْرامٌ، وللوَعيدُ بِأَنْ يُصيبَهم ما أصابَهم[2].

### إيثارُ التّعبيرِ بالقول دونَ غيره:

عبّر النّظمُ الحكيم في صدر الآية بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ دون غيره

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 353.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 26.

منَ الأفعال التي تدلّ على معنى القول؛ وذلك لأنّ مادّة القولِ تشمل كلَّ أنواع التّعبير اللّفظيّ، سواء ما كان منها مباشرًا أو غيرَ مباشر، ففيه إيجازُ اختصارٍ يناسبُ بلاغةَ القرآن، ولِما فيه منَ الدّلالة على التّصريح بالأمر؛ إظهارًا لعُلوّ الأُلوهيّة، واختصاصه سبحانه بالأمر والنّهي، ووجوبِ الطّاعة المُطلقة.

دلالةُ القولِ على العموم والتّصريحِ بالأمر

**فائدةُ الفعل ﴿سِيرُواْ﴾ مادّةً وصيغةً:**

اشتملتِ الآيةُ الكريمة على الحَضّ للاعتبار بعاقبة المجرمين الذين بالغوا في العُتوّ والإنكار، فاستعمل النّظمُ الحكيم لذلك فعلَ الأمر ﴿سِيرُواْ﴾، والظّاهرُ أنّ السّيرَ المأمورَ به هاهنا هو الانتقالُ من مكان إلى مكان، والمُرادُ العِظَةُ والاعتبار بما يرون من مصائر هؤلاء المجرمين، وهو أمرٌ للسّير في رُبوع ما حولَهم منَ الأرض؛ للتّذكير بالعذاب الذي نزل بمَن سبقوهم منَ المُكذّبين، الذين كانت ديارُهم قريبةً منهم، مثلِ قومِ عادٍ وثمودَ وأصحابِ الأيكة، وقومِ لوطٍ وغيرِهم[1]. وأُسنِد الفعل لضمير الجمع ليَشملَ كلَّ مَن كَذّبَ بالبعث.

تأمُّلُ مصائرِ السّابقين منَ الأُمور الجوهريّة في تبيُّنِ الحَقّ وإدراكِه

**دلالةُ الأسلوبِ الإنشائيّ الطّلبيّ في الآية:**

الأسلوبُ الإنشائيّ الطّلبيّ أسلوبٌ حواريٌّ لا تلقينيّ، يقتضي تفاعلًا معَ الفعل المأمور به، وهو الأنسبُ مع نهج الحوار وطرائقِه، وقد تكرّرت صيغةُ الأمر في الآية الكريمة ثلاثَ مَرّات، وهي ﴿قُلْ﴾ ﴿سِيرُواْ﴾ ﴿فَٱنظُرُواْ﴾، وتنوّعت أغراضُ الأمر في الأفعال الثّلاثة، فجاء الفعل الأوّل ﴿قُلْ﴾ على سبيل الحقيقة، فهو أمرٌ بالتّبليغ، وخرج الفعل الثّاني منَ الأمر إلى الإباحة، وعاد الأمرُ الثّالث إلى الحقيقة؛ وذلك لأنّ النّظر للتّدبّر والاعتبار واجبٌ على كلّ العقلاء، كي يَتمكّنوا من تحقيق مناط الإيمان.

الأسلوبُ الإنشائيّ أنسبُ لنَهْج الحوار وطرائقِه

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5479.

### فائدةُ التّعبيرِ بالجارّ والمجرور ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

حَثُّ القرآنُ على عمقِ التّأمّل ودِقّةِ الاعتبار

في قوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ استُعمل حرفُ الجَرِّ ﴿فِي﴾ الذي يدلُّ على الظّرفيّة المكانيّة، فكانتِ الأرضُ كلُّها ظرفًا للسّير والاعتبار؛ وذلك للدّلالة على كثرة تكذيبِ الأقوام لأنبيائهم، فاستَحَقّوا العذابَ وخرابَ البُنيان، وغدت آثارُهم مثالًا للعِظَة، والظّاهرُ أن تكون ﴿فِي﴾ هاهنا بمعنى (على)، فغالبُ السّير إنّما يكون (على) وجه الأرض لا في عمقها، فعَدَلَتِ الآيةُ عن هذا الظّاهر إلى حرف الجَرّ ﴿فِي﴾، الذي يُفيد الظّرفيّةَ المكانيّة؛ ليُنَبّه على ضرورة الضّرب في أصقاع الأرض جميعِها ضربًا عميقًا، فكأنّما النّاظرُ المُتأمّل إنّما يسير في جوف الأرض، لا على سطحها؛ استجلابًا للعِظَة والاعتبار.

### العُدولُ عن (ثم) إلى الفاء:

من فوائد التّأمّلِ والتّدبّرِ في أحوال السّابقين أن يقود سريعًا إلى الإيمان واليقين

في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ استعمل النّظمُ الحكيم الفاء المُقْتَضيَةَ للتّرتيب والتّعقيب والسّرعة، وهو الغالبُ على النّظم القرآنيّ في مثل هذا المعنى، فقدِ ارتبط فعلُ (انظروا) و(ينظروا) بالفاء في أغلب المواضع التي جاء فيها الأمر بالسّير في الأرض في القرآن الكريم، وذلك في أحدَ عشرَ موضعًا، وذلك لإفادة التّرتيبِ والتّعقيبِ والسّرعة المُترتّبةِ على السّير المُتأمّل المُتدبّر، أي: أنّ نتيجة السّير أنْ تنظر نظراتِ اعتبارٍ إلى عاقبة المجرمين، وما آلَ إليه أمرُهم بعد أن طَغَوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد[1]. في حين جاءت (ثُمّ) في موضع واحد في سورة الأنعام، وهو قوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ [الأنعام: 11]، وذلك لمناسبة السّياق فيها للتّراخي، إذِ اتّسمت سورةُ الأنعام بالتّفصيل الشّديد في أمور الاعتقاد، واستعراضِ حُجَجِ الكفّار مَرّة تِلو أُخرى،

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5480.

ومِن ثَمّ كان الأنسبُ هناك استعمالَ ﴿ثُمَّ﴾ [الأنعام: 11] دونَ الفاء هنا، التي حملت معنى السّببيّة كذلك. ثمَّ إنّ إيراد (الفاء) هو بالنّظر إلَى أوّل السَّير، وإيرادَ (ثُمَّ) بالنّظر إلَى تمام السَّير، فإن لوحِظَ حصولُ النّظر عقيبَ السّير اخْتير حرفُ (الفاء) كما في هذه الآية، وإلّا اختيرَ (ثمّ)[1].

### بلاغةُ المجازِ المُرسَل في جملة السّير في الأرض:

الأمرُ بالسّير في الأرض مجازٌ عنِ التّفكّر، لتقريب الصّورة للأذهان

في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مجازٌ مرسلٌ باعتبار ما يَؤول إليه أمرُ السّير، فإنّ السّير هاهنا وسيلةٌ للتّدبّر والتّأمّل والتّفكّر، ومِن ثمّ فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، وقد ساعد المجازُ هنا على تقريب الصّورة للأذهان، فإنّ الانتقالَ منَ المحسوس للمعقول، ومنَ المعقول للمحسوس، يلفتُ الانتباهَ لأغراض الكلام.

### سِرُّ التّعبيرِ بالنّظر:

النّظرُ هو الإقبالُ على الآثار للاعتبار، لا لتضييع الوقت بالاغترار

أوثِرَ التّعبيرُ بالنّظر في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ ليَدُلّ على التّفكّر بمصائر الأقوام الغابرة التي كَذّبت بالبعث، وخَصّ النّظرَ بالذِّكر دونَ الاعتبار أوِ الاتّعاظ؛ لأنّ ما بقي من آثار القوم لا يُعْرَفُ إلّا بالنّظر، فتُرصَدُ مشاهدُ كثيفةٌ، وتُستحْدَثُ في الخيال حركةُ حياتهم في مساكنهم وأسواقهم، قبلَ أن يصيبَهم ما أصابهم منَ العذاب، قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص: 58].

### بلاغةُ الاستعارةِ في التّعبير بالنّظر:

التّعبيرُ بالنّظر يشملُ التّفكّرَ الذّهنيَّ والتّبصّرَ الواعيَ فيما ورد عنِ السّابقين

يمكنُ أن يكون النَّظرُ في الآية مجازيًّا، فيكون في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ استعارةُ محسوسٍ لمعقول، فاستعار النّظرَ بالعين الباصرة للتّفكّر الذّهنيّ، وهو عقليٌّ، إذ يمكنُ حصولُ النّظرِ بالتّدبّر

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 439.

فيما جاء من أخبارهم في القرآن والسّنّة وأخبارِ الأُمم السّابقة في كتب التّاريخ، ونُكْتَتُهُ البلاغيّةُ الإشارةُ إلى أنّ المطلوب هو التّفكّرُ العميقُ، الذي تتولّد عنه حقائقُ الإيمان؛ حتّى كأنّها تُرَى بالعين[1]. ومِن ثمّ فإنّ التّعبير بـ(النّظر) يشملُ النّظرَ الحقيقيَّ في الآثار، ويشملُ التّفكّرَ والتّدبّرَ في أخبار الأُمم السّابقة.

### الإعجازُ البيانيُّ في الاستفهام في الآية:

من شأن التّدبُّر في عواقب السّابقين حصولُ الخوفِ والرَّهبةِ من مُلاقاة المَصير نفسِه

خرج الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ منَ الاستفهام الحقيقيّ الطّلبيّ، إلى الاستفهام الصّوريّ؛ لخُلُوّهِ منَ الاستفهام الاصطلاحيّ، والمعنى: فَكِّروا، وتأمَّلوا كيفيَّةَ عقابِ الله للمُجرمين من قبْلِكم[2]. فالمقصودُ به التّخويفُ والإنذارُ والتّهديد بحصول العاقبة نفسِها لمَن يسير على المِنوال نفسِه، الذي سار عليه المجرمون السّابقون، في العناد والاستكبار وإنكار البعث، وفيه إلماعٌ لهلاكِ المُكَذّبين منَ المشركين المعاصرين للنّبيّ ﷺ، كما هلك السّابقون، وفيه كذلك تخويفٌ وإنذارٌ للّاحقين مِن بعدِهم.

### نُكْتَةُ التّعبيرِ بالكيفيّة:

التّفكّرُ بأحوالِ الأُمم الغابرة، من خلال آثار الشّعوب الهالكة

عبّر النّظمُ الحكيم عنِ الاستفسار عن عاقبة المجرمين من الأمم السابقة باسم الاستفهام ﴿كَيْفَ﴾، وهي للسّؤال عنِ الحال، وهي هنا خبر كان النّاسخة، وفي استعمال ﴿كَيْفَ﴾ دعوةٌ للتّفكّر فيما جرى لهؤلاء المُكَذِّبين المُجْرِمين من سوء العاقبة، من خلال آثارهم الباقية وأخبارِهم المُسَطّرة، للاعتبار والاتّعاظ بأحوالهم.

### فائدةُ الفعل ﴿كَانَ﴾ وتذكيرِه:

دلّ ذِكرُ ﴿كَانَ﴾ في قوله: ﴿فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ على الحصول المُطلق، وخبرُه يدلُّ على الكون المخصوص، و﴿كَيْفَ﴾

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/ 283.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 3/ 180.

خبرها، وهو لا يفيدُ استفهامًا حقيقيًّا، بل هو تنبيهٌ إلى حقيقة الكيفيّةِ المُؤلِمةِ، أي: العاقبةِ العجيبةِ التي كانت، فخبرُ ﴿كَانَ﴾ هي (كيفية العاقبة وعجيبةُ حصولِها، أو هولُ حصولِها)، فَجيء بلفظٍ دالٍّ على حصولٍ ما، ثمّ عيَّن بالخبر ذلك الحاصلَ، فكأنّك قلت: حصل شيءٌ، ثمّ قلت: حصلت العاقبةُ. فالفائدةُ في إيراد مطلق الحصول أوّلًا، ثمّ تخصيصِه، مع فائدة أخرى، هي دلالتُه على تعيين زمان ذلك الحصول المُقيَّد. لكنّ دلالةَ ﴿كَانَ﴾ على الحَدَث المُطلق، أي: (الكون) وضعيّةٌ، ودلالةَ الخبرِ على الزّمان عقليّة[1]، ففائدةُ ذِكْر ﴿كَانَ﴾ التّنبيهُ على أنّ تلك العاقبة كانت في الجميع، وهي حاصلةٌ فيهم باعتبار سُنن اللّهِ التي لا تتخلّف في القوم المجرمين. ولم تلحق علامةُ التّأنيث بفعل العاقبة؛ لِأنَّ تَأْنيثَها غَيْرُ حَقيقيٍّ، ولِأنَّ المَعْنى: كَيْفَ كانَ آخِرُ أمْرِهِمْ[2].

سـوء العـاقـبـةِ سُنّةٌ مُتحقِّقةٌ في جميع المُجرمين مـنَ السّابـقين واللّاحقين

### نُكْتَةُ التّعبيرِ بالعاقبة دون العُقبَى:

تُطلَق العاقبةُ على مُؤخّر الشّيء وما يؤولُ إليه، وحَسُنَ ذِكْر (العاقبة) في قوله: ﴿فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ لبيان ما آلَ إليه حالُ الأُمم السّابقة من تكذيبِ البعث وأمرِ الآخرة، وفيه إيماءٌ تحذيريٌّ أن يَحيق بهم مثلُ ما حاق بمَن سبقهم. أمّا العُقْبَى: فهي الجزاء الذي يكون في النّهاية، والحديث هنا بشأن ما سَيَرَوْنَه من آثار المجرمين السّابقين، وما حلّ بهم في الدّنيا من عقوبات رادعة، أدّت إلى خراب ديارهم بعد عمرانها، وليس عن عقبى جزائِهم في الآخِرة.

التّـحـذيـرُ من مَغبّة السّير على منهاج المجرمين المُكذّبين

### سِرُّ إضافةِ ﴿عَٰقِبَةُ﴾ إلى ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

عبّر النّظمُ الحكيم عنِ الكافرين منكري البعث بـ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾،

(1) الشريف الرّضيّ، شرح الكافية: 2/ 221، والدّماميني، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد: 3/ 171، والسّامرائيّ، معاني النّحو: 1/ 209.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 469، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 12/ 450.

لطفُ الإشارة في تحذير المؤمنين من الإجرام

وقد تنوّع إسنادُ العاقبة في القرآن الكريم للمشركين، فشَملت عددًا من أهمّ صفاتهم، ومنها: (المُفسدين، والظّالمين، والمُنْذَرين، والمُكَذّبين ...)، وفي كلّ واحدة تفنّنٌ بما يُلائِم المقام. ففي التّعبير عَنِ المُكَذِّبينَ بالمُجْرِمينَ لُطْفٌ بالمُؤْمِنينَ في تَرْكِ الجَرائِم وتخوُّفِ عاقبتها؛ لِما فيهِ مِن إرْشادِهِمْ إلى أنَّ الجُرْمَ مُطْلَقًا مَبْغوضٌ للّه ﷻ، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الشّمس: 14]، وقوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ [نوح: 25][1].

لا يجتمعُ الإيمانُ والإجرامُ في قلبِ مؤمنٍ

وفي التّعبير بلفظ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بيانٌ لآثار إجرامهم في الأرض ونهايتِه، ولبيانِ أنّ المؤمنين مهما يكونون كانوا ضعفاء لا يمكن أن يكونوا مجرمين[2].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### السَّير والمَشي:

يقال: سار القومُ إذا امتدّ بهم السّيرُ من جهة إلى جهة معيّنة في الخصوص، والسّيرُ في القرآن الكريم قد يكون لغرض وفي جهة، وهو إمّا للعِظَة والاعتبار أو للتّجارة، أو غيرِ ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [القصص: 29]، فالسّير هنا ممتدٌّ من مَدْيَن إلى مصر، وليس مشيًا. وقد يكون معنى السّيرِ هو السَّير لفترة طويلة للعِبْرة والاتّعاظ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، وقد ورد هذا المعنى للسّير في أحدَ عشرَ موضعًا؛ للتّعبير عنِ السّير لمسافة طويلة إمّا بغرض التّجارة وإمّا لغرض العبرة والاتّعاظ.

وأمّا المشيُ، فهو مُجرّد الانتقال، وليس بالضّرورة أن يكون

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 469، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 12/ 450، والآلوسيّ، روح المعاني: 20/ 49، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 27.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5480.

توجّهًا إلى هدف مُحَدّد، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان: 63]. ويقال: إنّ السّير هو المشي بتُؤَدَة[1]. ومن هنا يتبيّن سرُّ اصطفاء لفظ السّير في الآية؛ لمناسبته مغزى العِظة والاعتبار من مصائر المجرمين.

### النّظر والاستدلال:

الإِسْتِدْلالُ أخصُّ منَ النّظر

الإِسْتِدْلالُ طلبُ معرفَةِ الشَّيْء من جِهَة غَيره. والنَّظَرُ: طلبُ مَعْرفَة الشّيءِ من جِهَته ومن جِهَة غَيره، ولِهَذا كانَ النّظر في معرفَة القادِر بوصفه قادِرًا من جِهَة فعله اسْتِدْلالًا، والنَّظَرُ في حُدوث الحَرَكَة لَيْسَ باستدلال. وحَدُّ النّظرِ طَلَبُ إدْراكِ الشَّيْء من جِهَة البَصَر أَوِ الفِكر، ويحْتاج في إدْراك المَعْنى إِلَى الأَمريْن جَميعًا، كالتّأمّل لِلْخَطّ الدَّقيق بالبَصر أَوّلًا، ثمَّ بالفِكر؛ لِأَنّ إدْراك الخَطّ الدَّقيق الَّذي بِهِ يقْرَأُ طَريقٌ إِلَى إدْراك المَعْنى، وكَذَلِكَ طَريقُ الدّلالَة المُؤدّيَة إِلَى العِلم بِالمَعْنَى، وأصلُ النّظر المُقابَلَةُ، فالنّظر بالبصر: الإقبالُ نَحْوَه، والنَّظَر بالقَلْب: الإقبالُ بالفِكْر نَحْو المُفَكّر فيه[2]. ولمّا كانت مصائرُ المجرمين محلَّ التّعرّف بالعين والفكر، ناسبَ لفظُ النّظرِ بوصفه طلبًا لإدْراك الشَّيْء من جِهَة البَصَر أَوِ الفِكر.

(1) السّامرائيّ، برنامج لمسات بيانيّة، وموسوعة التّفسير الموضوعيّ: (السّير) و(المشي).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 74.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»